

المكان وأثوه في الدعوة

د. رعد سلمان حسين

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه

وسار على هديه إلى يوم يلقاه .

وبعد:

يعد المكان ركيزة أساسية لدى البشرية في بناء المجتمع ، بل هو جل اهتمام الباحثين والدارسين اليوم ، وذلك لتعدد استخدامه وتنوعه ، فالساكن يبحث عن مكان يأوي فيه ، والتاجر يبحث عن مكان يتاجر فيه ، والطبيب يبحث عن مكان يعالج فيه المرضى ويكشف عليهم ، والعالم يبحث عن مكان يعلم فيه ، والباحث يبحث عن مكان ينجز فيه أبحاثه العلمية ، وهكذا بقية الصفات والمهن ، فلا يمكن لنا أن نتصور إنسانا ذا مهنة وعلم بلا مكان يحويه ويضمه فالمكان له تأثير نفسي في حياة الإنسان ، لذلك نراه يحن إلى مواطن صباه والأيام الخوالي التي قضاها فيه ، ولذلك نرى النبي ﷺ عندما خرج من مكة قال قولته المشهورة ((والله إنك ، لخي ر أرض الله ، وأحب أرض الله إلي ، والله لولا أنني أخرجت منك ، ما خرجت)) (1). ودونك الأدب العربي ، لا سيما أدب ما قبل الإسلام ، إذ كان للرسوم والأطلال مساحة واسعة في قصائد الشعراء ، يقول امرؤ القيس :

قفا نبكي من ذكرى حبيب وخيول يسقط اللوى بين الدخول فحومل

حيث أصبحت المقدمة الطلية لازمة من لوازم العصر الجاهلي وردحا في ظل الإسلام . وما أطلال الديار إلا أماكن . فرأيت من اللازم بعد هذا كتابة بحث حول المكان بمنظور شرعي ، نستعرض فيه الأماكن وآثارها في الدعوة ، وماذا لو أن هذه

(1) سنن ابن ماجه - كتاب المناسك باب فضل مكة - حديث : 3105

الأماكن لم تكن موجودة في أيام وحياء رسول الله ﷺ لذا وقع اختياري بعد هذا على بحثي الموسوم بـ ((المكان وأثره في الدعوة)) .

فقسمته على ثلاثة مباحث :

المبحث الأول : تناولت فيه حركة الدعوة الإسلامية من خلال (دار الأرقم بن

أبي الأرقم ؓ) فعرفته وبينت الأسباب التي اختار النبي ﷺ بسببها هذه الدار .

واهم خصائصه ورجاله ، والمنهج العلمي الذي كان يدرس فيه ، وما الآثار التي

تركوها لنا ؟ فكان المبحث بخمسة مطالب :

1. التعريف بالمكان لغة واصطلاحاً .

2. التعريف بالأرقم حياته وأعماله وسبب اختيار النبي صلى الله عليه وآله

وسلم لهذه الدار .

3. أهم خصائصه ورجاله .

4. المنهج العلمي فيه .

5. آثاره .

المبحث الثاني : مكان الدعوة وأثره في العهد المدني : المسجد نموذجاً ، تناولت

فيه حركة الدعوة الإسلامية بعهد جديد ومكان آخر .

فكان على ثلاثة مطالب هي :

1. المسجد لغة واصطلاحاً .

2. دعائم وأسس بناء المسجد .

3. آثاره ورجاله .

المبحث الثالث : ركزت فيه على أهم الدروس والعبر المستوحاة من هذه السيرة

الربانية والحركة الدعوية النبوية المباركة وما تركته في ظلال معانيها ، يستفيد منها

القاصي والداني .

المبحث الأول

المكان وأثره في الدعوة ((دار الأرقم بن الأرقم نموذجاً))

. المكان لغة : مأخوذ من (مكن) : والمكين ، والمكن : بيض الطيب ، ظبة
مكون وامكنت الظبة والجزرة : اذا جمعت البيض في جوفها . وفي الحديث ((اقروا
الطير على مكنياتها)) ومكناتها : أي عشتها أو أمكنتها .
وامكن الشيء فهو ممكن ومكين ومنه الامكان والتمكين . وفلان ذو مكنة من
هذا الامر : أي ذو مكانة واستمكان ، وتمكن : أخذ المكان ويجمع المكان امكن .
ومضيت على مكينتي : أي هديي وسيرتي² .

. وفي الاصطلاح : هو السطح الباطن من الجسم الحاوي ممااس للسطح الظاهر
من الجسم المحوى .

. وعند المتكلمين : فمنه مبهم ومنه معين :

المبهم : عبارة عن مكان له اسم تسميه به ، كالخلف فان تسمية
ذلك المكان بالخلف انما هو بسبب كون الخلف في جهة
وهو غير داخل في مسماه .

المعين : عبارة عن مكان له اسم سمي به بسبب امر داخل في
مسماه ، كالدار لها حائط وسقف وغيرها وكلها داخلة
في مسماه⁽³⁾ .

(2) المحيط في اللغة / ج 2 / ص 52

(3) مجمل اللغة لابي الحسين ت 406 ط 1 / ج 2 / 837 - 838 ، والتعريفات للجرجاني

تعريف دار الأرقم فمن هو وأين هذه الدار ؟ حياته واهم أعماله :-

الأرقم بن أبي الأرقم القرشي المخزومي صحابي جليل ، واحد السابقين إلى الإسلام بمكة ، وكنيته أبو عبد الله ، وكان سابع سبعة في الإسلام ، وقيل بل عاشر من اسلم . وهو الذي استخفى رسول الله ﷺ في داره والمسلمون معه ، فكانت داره أول دار للدعوة إلى الإسلام (4) .

أول دار للدعوة :-

كانت داره على الصفا ، وهي الدار التي كان النبي ﷺ يجتمع بأصحابه فيها بعيدا عن أعين المشركين ، ليعلمهم القرآن وشرائع الإسلام ، وفي هذه الدار اسلم كبار الصحابة وأوائل المسلمين ، وبقي الرسول ﷺ يدعو إلى الإسلام في دار الأرقم حتى تكاملوا أربعين رجلا ، خرجوا يجهرون بالدعوة إلى الله ﷻ (5) .

جهاده :-

هاجر الأرقم ﷺ إلى المدينة ، وفيها آخى رسول الله ﷺ بينه وبين زيد بن سهل ﷺ وشهد الأرقم بن أبي الأرقم ﷺ بدرا واحدا والغزوات كلها ولم يتخلف عن الجهاد وأعطاه رسول الله ﷺ دارا بالمدينة وروي عنه انه تجهز يوما و أراد الخروج إلى بيت المقدس فلما فرغ من التجهيز والإعداد جاء إلى النبي ﷺ يودعه فقال له النبي ﷺ ما يخرجك يا أبا عبد الله أحاجة أم تجارة ؟ قال له الأرقم ﷺ يا رسول الله باني أنت وأمي إنني أريد الصلاة في بيت المقدس فقال له الرسول ﷺ صلاة في مسجدي هذا خير من ألف صلاة فيما سواه إلا المسجد الحرام فجلس الأرقم وعاد إلى داره مطيعا للنبي ﷺ منفذا لأوامره ﷺ (6) .

(4) ينظر فقه السيرة محمد الغزالي / دار الرحمة / ص 95 ، وفقه السيرة محمد سعيد

البوطي / ط 11 ص 55 .

(5) المصدر السابق .

(6) البداية والنهاية لابن كثير / دار العلم للملايين / بيروت لبنان / ط 1 ج 2 ص 149 .

وفاته :-

ظل الأرقم رضي الله عنه يجاهد في سبيل الله لا يبخل بماله ولا نفسه ولا وقته في سبيل نصرته الإسلام والمسلمين حتى جاءه مرض الموت . ولما أحس رضي الله عنه بقرب أجله في عهد معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه أوصى بان يصلي عليه سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ثم مات الأرقم وكان سعد غائبا عن المدينة آنذاك ، فأراد مروان بن الحكم رضي الله عنه أمير المدينة أن يصلي عليه فرفض عبيد الله بن الأرقم فقال مروان رضي الله عنه أئحسب صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجل غائب ؟ ورفض ابنه عبيد الله بن الأرقم أن يصلي عليه أحد غير سعد بن أبي وقاص وتبعه بني مخزوم على ذلك حتى جاء سعد رضي الله عنه وصلى عليه ودفن بالعقيق سنة 55 هـ وكان عمره بضعا وثمانين سنة.

الأسباب التي دعت النبي صلى الله عليه وسلم لاختيار هذه الدار :-

1. إن صاحب هذا الدار وهو الأرقم رضي الله عنه لم يكن معروفا بإسلامه ، فلم يكن يخطر ببال أحد من المشركين أن يجتمع النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة في هذه الدار .
 2. أن الأرقم بن أبي الأرقم كان فتى عند إسلامه ، ولم تفكر قريش أن هناك تجمع إسلامي سيكون عند أحد الفتيان بل إن نظرها كان يتجه في الغالب إلى بيوت كبار الصحابة .
 3. ان هذه الدار كانت قريبة من الكعبة المشرفة .
- فالتقى رسول الله صلى الله عليه وسلم بأصحابه في هذه الدار وتلقوا عنه تعاليم الإسلام حيث كان يتلو عليهم ما ينزل عليه من القرآن الكريم ويعلمهم أمور دينهم وشأن الدعوة وقد كانت عناية الله في تلك الفترة واضحة جلية لا تفارقهم بحال وكان من الحكمة البالغة في بداية الدعوة الابتعاد بهذه العصبة المؤمنة عن كل ما يضر بها والله غالب على أمره .

كان المنهج هو القرآن الكريم وحده هو المنهج والفكرة المركزية التي يتربى عليها الفرد المسلم والأسرة المسلمة والجماعة المسلمة وكان روح القدس ينزل بالآيات فكان النبي ﷺ يحرص على البناء العقدي في هذه الفترة وكان الصحابة قد خرجوا من عصر مظلم تعتره البدع والانحرافات والشرك ، فكان لابد من تصحيح لهذه الجوانب العقدية في نفوسهم (12) .

اهم الآثار :-

تركوا لنا آثارا جلييلة لا يسع الفرد الا ان يتصفح كتب السيرة ليأخذ منها العبر والعظات بل يجعلها منهجا له في حياته لما تمثله من شمولية لجوانب الحياة بكاملها ونوجز القول فيها :

1. الأثر العلمي :

فقد كان النبي ﷺ يعلم الصحابة ﷺ فيتلو عليهم آيات القرآن ويبين لهم أحكام الإسلام ويعرفهم بما يجري في واقعهم ومجتمعهم وما يحاك حولهم فلا بد للفئة المؤمنة أن تنتشر العلم الشرعي بمعاني الإيمان والأخبار الواقعية والأحداث القديمة التاريخية في بيوت الله وفي المنتديات والمحاضرات واللقاءات والمؤتمرات وتكون كذلك في كل آن وفي كل حال لان العلم أس . اس مهم كما اخبر القرآن ﷻ بي تج تح تخ تم تي تى تى ثم ثى جح جم حج حم ﷻ (13)

وليس المقصود بالمعرفة والعلم الناحية الشرعية فحسب بل الاستقراء الكامل للتاريخ واخذ العبر منه ومعرفة الواقع وإدراك ما يدور حول الدعوة والمسلمين من أمور ينبغي أن يعرفوها ويحتاطوا لها ويعدوا لها العدة فكانت هذه الدار تمثل هذه المرحلة المهمة فلئان ينبغي لنا أن لا نرضى من الناس بالعواطف وما يؤدونه من عبادات بل لا بد أن نزيدهم ونعطيهم من العلم الذي جاء في كتاب الله وفي سنة

(13) دولة الرسول من التكوين إلى التمكين / كامل سلامة / عمان ط1 - 1994 ص 225 .

(14) سورة محمد ﷺ 19

رسول الله ﷺ ونوسع دائرة العلم والمعرفة في عقولهم حتى إذا ما ذكرت شبهات وطعون في الإسلام يستطيع المسلم من خلال ما تعلمه أن يرد عليها ويثبت بطلانها فيكون ذلك انتصارا للدين حتى لا ينخدع كما قال عمر بن الخطاب ﷺ لست بالخب ولا الخب يخدعني .

2. الأثر التربوي :

إن العلم وحده لا يكفي بل كان النبي ﷺ في هذه الدار يربي أصحابه ويبين لهم ما يواجهونه من أخطار ويقوي فيهم المعاني الإيمانية التي تقوي عزيمتهم ويؤكد لهم أن بعد العسر يسرا ويبين لهم أن التمسك بالمنهج هو الذي يؤدي إلى النصر والتمكين مستعرضا لهم واقع سير الرسل والأنبياء ممن قبله ومن واقع حياة المؤمنين في كل وقت وحين فكان لا بد لهم أن يثبتوا ويسعوا إلى تكامل شخصياتهم لذلك لا بد لهم من معرفة العلم مع التطبيق العملي والتواصي بالحق والتواصي بالصبر ، إن هذه الدار كانت بمثابة المدرسة العظيمة التي تخرج منها كبار الصحابة من المهاجرين والسابقين الأولين إلى الإسلام أمثال أبي بكر وعمر والعشرة المبشرين ومن جاء بعدهم من صحابة النبي ﷺ ونعلم جميعا أن هذه الفترة لم يكن عدد المسلمين فيها كثيرا وذلك لظروف الإيذاء والاضطهاد وظروف سرية الدعوة إلا أن نوعية المسلمين الذين رباهم النبي ﷺ في مثل هذه الدار كانت نوعية فريدة لذلك كان النبي ﷺ يبين لنا أهمية صياغة الشخصية المسلمة والتربية الإسلامية الصادقة فهذا بلال ﷺ تحت الصخرة يقول أحد أحد وما تغير ولا تردد بل تغير من كان يجلد فاسلم بعضهم وهذا كعب بن مالك جاءه الإغراء من قبل الدولة العظمية في ذلك الوقت الذي كان الصحابة قد نهوا عن كلامه وامروا بمقاطعته فلم يستجب لهذا النداء لذلك كانت التربية في أعلى المستويات المطلوبة وهذه الدار هي التي أخرجت هؤلاء الكوكبة من أصحاب النبي ﷺ .

3. الأثر الروحي :

المبحث الثاني المكان وأثره في العهد المدني " المسجد النبوي نموذجا "

المسجد لغة : هو مفعل بالكسر اسم لمكان السجود ، وبالفتح اسم للمصدر ، قال أبو زكريا الفراء :

كل ما كان على فعل يفعل كدخل يدخل كالمفعل منه بالفتح اسما كان أو مصدرا ، ولا يقع فيه الفرق . مثل دخل مدخلا .
ومن الأسماء ما ألزموها كسر العين ، منها : المسجد ، والمطلع ، والمغرب والمشرق وغيرها ، فجعلوا الكسر علامة للاسم ، وربما فتحه بعض العرب ، وقد روى : المسجد والمسجد والمطلع والمطلع ، قال : والفتح في كله جائز ، وإن لم نسمعه .

جاء في الصحاح : والمسجد بالفتح : جبهة الرجل حيث يصيبه السجود ، ويقال : مسجد بفتح الميم حكاة غير واحد (17) .

أما المسجد شرعا : فكل موضع من الأرض لقوله ﷺ : " أعطيت خمسا لم يعطهن أحد قبلي ، كان كل نبي يبعث إلى قومه خاصة ، وبعثت إلى كل أحر وأسود ، وأحلت لي الغنائم ، ولم تحل لأحد قبلي ، وجعلت لي الأرض طيبة طهورا ومسجدا ، فأيما رجل أدركته الصلاة صلى حيث كان ، ونصرت بالرعب بين يدي مسيرة شهر ، وأعطيت الشفاعة " (18) وهذا من خصائص هذه الأمة ، قال القاضي عياض : لان من كان قبلنا كانوا لا يصلون إلا في موضع يتيقنون طهارته ، ونحن خصصنا بجواز الصلاة في جميع الأرض إلا ما تيقنا نجاسته .

(18) إعلام الساجد بأحكام المساجد ص/26/ والقاموس 300/1 مادة (سجد) والصحاح 2/

483-485 ، وتاج العروس 371/2 - 372/ مادة سجد

(19) صحيح مسلم - كتاب المساجد ومواضع الصلاة حديث : 841

وأما أسس بناء المسجد فهي :

1. التوحيد وتقوية الصلة بالله ﷻ . فالمسجد ليس مكان عبادة وحسب ، بل مركزا لغرس معاني الإيمان بالله ﷻ وزرع لعلو الهمة في التمسك بخلائق الإيمان ، وهذا واضح من خلال تأكيده على الصلوات الخمس والمحافظة عليها في المسجد .
2. تقوية أواصر المحبة فيما بين أفراد الأمة بعضها ببعض ، وذلك هو سر النبي ﷺ عندما آخى بين المهاجرين والأنصار . في أول خطوة خطاها .
3. ثم مبدأ التعامل مع الأجانب من أهل الديانات الأخرى : وذلك في اقدمه على عقد معاهدة مع اليهود وجاء في فقراتها :

- أ. أن اليهود يتفقون مع المؤمنين ماداموا محاربين .
- ب . وان اليهود بني عوف أمة من المؤمنين.
- ج. لليهود دينهم وللمسلمين دينهم .
- د. وان على اليهود نفقتهم ، وعلى المسلمين نفقتهم ، وان بينهم النصر على من حارب أهل هذه الصحيفة .
- هـ. وان الله جار لمن بر واتقى (19) .

آثاره ورجاله :-

المسجد مركز دعوة ومنبر توجيه وتخرج منه اجيال مؤمنة تقية مجاهدة مطيعة عمرت الارض بالطاعة والخير ونشرت الاسلام في آفاق واسعة فمن المسجد الحرام انطلقت دعوة رسول الله ﷺ في ارجاء مكة بقوة الفاظها ومعانيها وهذا ظاهر في اول خطبة خطبها في مكة حين دعا قومه فقال ان الرائد لا يكذب اهله والله لو كذبت الناس جميعا ما كذبتكم ولو غررت الناس جميعا ما غررتكم والله الذي لا اله الا هو اني لرسول الله اليكم خاصة والى الناس كافة والله لتموتن كما تنامون ولتبعثن كما

(20) ينظر السيرة النبوية لابن هشام / 2 - 166 - 167 ، وفقه السيرة للبوطي ص156 .

تستيقظون ولتحاسبن بما تعملون ولتجزون بالاحسان احسانا وبالسوء سوءا وانها لجنة ابدأ او نار ابدأ .

واما ما كان منه ﷺ في اول جمعة صلاها بالمدينة ف جاء فيها : ((وان تقوى الله تبيض الوجه وترضي الرب وترفع الدرجة خذوا بحظكم ولا تفرطوا في جنب الله قد علمكم الله كتابه ونهج لكم سبيله ليعلم الذين صدقوا وليعلم الكاذبين فاحسنوا ما احسن الله اليكم واعملوا لما بعد الموت فانه من اصلح ما بينه وما بين الله يكفه ما بينه وبين الناس ذلك بان الله يقضي على الناس ولا يقضون عليه ويملك من الناس ما لا يملكون منه الله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم)) . من هن ا . نستطيع ان نجمل اهم الآثار التي تركها لنا رسول الله ﷺ وهو يعلم اصحابه فنقول :

1. التذكير بالله دائما والتحابب فيه :

ف نجد أن رسول الله ﷺ كانت له خطب تذكر بالله وتدعو إلى حبه كما تدعو إلى التنفير من الدنيا وبيان العلم الشرعي وفضله ثم تلك الخطبة الجامعة العظيمة في حبه التي ودع الناس فيها وأعطاهم دروسا قيمة تحمل وصايا نافعة في البعد عن الظلم وترك الربا والايصاء بالنساء خيرا مما ينير للامة الإسلامية في كل قرونها المقبلة طريقا هاديا يرضاه الله ورسوله ﷺ ويفوز سالكوه بالدنيا والآخرة وهكذا كان حال خلفائه الراشدين المهديين عمروا منابر المساجد على ما تركهم عليه رسول الله ﷺ وسارت على هذا النمط الأجيال المؤمنة من بعدهم تستخدم منابر المساجد في الإرشاد والتوجيه والإنذار والتحذير وبيان الأحكام وغرس العقيدة الصحيحة وعلاج ما في المجتمع من عيوب والحث على المنهج الصحيح حتى يعيش المجتمع المسلم نقيًا متوادًا متراحمًا⁽²⁰⁾ كما وصفهم النبي ﷺ : " إن المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد

(21) ينظر الكامل في التاريخ / ج 2 40 - 41 ، والبداية والنهاية لابن كثير ج 3 ص 213 .

بعضه بعضا" (21) و: " ترى المؤمنين في تراحمهم وتوادهم وتعاطفهم ، كمثل الجسد ، إذا اشتكى عضو تداعى له سائر جسده بالسهر والحمى " (22) .

2. التزام الدعوة والحث عليها دائما :

إن منابر المساجد كانت رحبات مشرقة نورت عقولا مؤمنة وخرجت دعاة مخلصين يأخذون بزمام القلوب ويمتلكون الأبواب بالفصاحة والبلاغة وروعة الأسلوب وحسن الاستشهاد وهي في وقتنا الحاضر مدعومة بخطباء وعلماء أجلاء تخرج جلهم من المساجد وفي مجال الدعوة وتخريج الدعاة فكان للمساجد اثر بالغ فقد تخرج عباقرة الصحابة ونحارير التابعين ومن بعدهم من القرون فمعاذ بن جبل رضي الله عنه أرسل داعية إلى اليمن وأمين هذه الأمة أبو عبيدة إلى اليمن وغيرهم من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لابن عمه الخليفة الراشد علي بن أبي طالب رضي الله عنه ((فوالله لأن يهدي الله بك رجلا واحدا ، خير لك من أن يكون لك حمر النعم)) (23) فصحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم كانوا رسله إلى الآفاق يعلمون الناس دينهم ويمحقون معالم الشرك وآثار الوثنية وتلاههم على هذا النهج أساتذة كبار ومشايخ أمناء في شتى العصور والأجيال فعمر بن عبد العزيز واحمد بن حنبل والشافعي ومالك وأبو حنيفة وشيخ الإسلام بن تيمية وابن القيم وغيرهم ممن نشروا الدعوة بألسنتهم الصريحة بالحق وكتبهم النافعة التي ملأت مكتبات العالم وأثرتها إثراء جما لا سيما في هذا العصر الذي كثرت فيه المؤلفات وحققت فيه كتب كثيرة في شتى العلوم في البلاد الإسلامية(24) .

(22) صحيح البخاري - كتاب الصلاة أبواب استقبال القبلة - باب تشبيك الأصابع في

المسجد وغيره حديث : 469

(23) صحيح البخاري - كتاب الأدب باب رحمة الناس والبهائم - حديث : 5671 .

(24) صحيح البخاري باب مناقب علي بن أبي طالب القرشي الهاشمي أبي الحسن رضي -

حديث : 3519 .

(25) مساجد القاهرة ومدارسها احمد فكري /الاسكندرية 1961 ص35 .

3. تعليم القرآن الكريم وتحفيظه :

للمساجد حلقات لتعليم القرآن وتحفيظه وفهم لمكوناته واستنباط لاحكامه ومعانيه وانتفاع بمواعظه فقد تعلمه الصحابة وحفظوه أو بعضه في مسجد النبي ﷺ وكانوا إذا حفظوا عشرة آيات منه لم يتجاوزوهن حتى يعملوا بهن ويطبقوها وقد امر المصطفى ﷺ بأخذ القرآن من أربعة كما قال : " خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود - فبدأ به - ، وسالم ، مولى أبي حذيفة ، ومعاذ بن جبل ، وأبي بن كعب " (25) . ولعلمهم أكثر ضبطاً لألفاظه وأتقن لأدائه وبعضهم افقه في معانيه فكان ترجمان القرآن وحبر الأمة عبد الله بن عباس وغيره من الصحابة والتابعين كمجاهد بن جبر كما برع في علوم القرآن نفر كثير ممن بعدهم كابن كثير وابن جرير والقرطبي والسيوطي وابن قتيبة والفراء والشاطبي واعلام القراءات المدني وابن كثير المكي وحمزة بن حبيب الزيات وابي عمرو بن العلاء وعاصم بن النجود الكوفي وابن عامر الدمشقي وابن محيصة والكسائي وأبي جعفر يزيد بن القعقاع ويعقوب الحضرمي وخلف بن هشام البزاز واليزيدي والحسن البصري والأعمش وغيرهم كثيرون من القراء والمفسرين ومعربي القرآن ومنتبعي علومه بالكشف والبيان والإيضاح وحلقات القرآن مدارس واقراء وفهما واستنباطا في بيوت الله وعلى أصعدتها أمورا عظيمة مرغبا فيها تتغشاها الرحمة وتحفها الملائكة يقول الرسول ﷺ ((وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله ، يتلون كتاب الله ، ويتدارسونه بينهم ، إلا نزلت عليهم السكينة ، وغشيتهم الرحمة وحفنتهم الملائكة ، وذكرهم الله فيمن عنده)) (26) ومن أبطأ به عمله لم يسرع به نسبه فبيوت الله مدرسة قرآنية مثمرة كان لها

(26) صحيح البخاري - كتاب المناقب باب مناقب أبي بن كعب رضي الله عنه - حديث : 3620 .

(27) صحيح مسلم - كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر - حديث : 4973 .

الأثر العظيم إذ أنجبت فطاحل العلماء وكبار المقرئين في كل عصور الإسلام ونرى آثارها بارزة اليوم من خلال ما يشاهد في كل موسم من حلق لتحفيظ وتعليم في كل المناطق بجهود مشكورة موفقة والمتابعة من قبل الأوقاف الإسلامية وكلية القرآن في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة وجميع أقسام القرآن وعلومه في الجامعات الأخرى من بلاد المسلمين دليل واضح على ذلك (27) .

4. علم الحديث :

كان لهذا العلم الحظ الوافر من حلق العلم المقامة في شتى المساجد الإسلامية وقد نبغ فيها محدثين وشرح حديث وعلماء فطاحل في كل فروع السنة النبوية خرجوا لنا الاحاديث وبيينوا لنا صحيحها من ضعيفها في المتن والاسانيد وشرحوا الغريب واعرّبوه واثروا المكتبات الإسلامية بصنوف المؤلفات كالصاح والسنن والمسانيد وطبقات المحدثين وكتب الغريب وغيرها ثم دروس الفقه واصوله وقواعده وتاريخ التشريع اخذت حيزا كبيرا من المساجد مع علم الحديث تدريسا وحفظا للمتون ومناقشات مفيدة وافقاء وتأليفا حتى اتسعت دائرة هذه المواد وكثر روادها وتفوق فيها من تفوق وجادت مراكزها باعلام الفقهاء ونوابغ الاصوليين وشيوخ القواعد وعلماء التشريع الذين الفوا ودرسوا ووجدوا ونتاجا علميا وفيرا غصت به المكتبات وخرجوا لنا اجيالا مؤمنة متعلمة تدعوا الى الخير وتصد عن الشر (28) .

5. اللغة العربية :

كما لا ننسى اللغة العربية من جملة الآثار الجليلة والعظيمة التي تركتها لنا تلك المساجد فقد درس النحو والصرف وفقه اللغة والبلاغة وغيرها من مشتقات اللغة في ردهات المساجد المباركة وبرز فيها علماء متخصصون أكاديميون بذلوا الجهد الكبير في بذل تلك العلوم لأفراد المجتمع تلقينا وحفظا واستشهادا وشعرا وإعرابا واستشفاف

(28) البداية والنهاية لابن كثير / ج3 ص 212 .

(29) الكامل في التاريخ / ج3 ص 402 .

ما في الكلام العربي من محاسن بديعية وبيانية واستخلصوا لشباب الأمة ألفاظها الجزلة وأمثلتها السائرة وأساليبها الرائعة ومعانيها المشوقة التي تستميل القلوب الى هذه اللغة العريقة .

وما من علم تحتاجه الامة المسلمة الا والمسجد فضل في تطويره ونشره ورفع مستواه وحث الناس على الاقتباس منه سواء كان علميا اونظريا علوم دنيا او آخرة فالمسجد ركن ركين للعلم ومعين قوي لا ينضب⁽²⁹⁾ .

6. انثو روي :

وفي المسجد غداؤك الروحي وزادك الايماني تروى بين اروقته علما نافعا وتكتسب منه خلقا حميدا وسمات فريدة وتجالس فيه اهل الخير لتستفيد منهم سلوكا حسنا ونهجا مشرفا يحفزونك للعلم والهدى ويرشدونك للحق والتقى وتزكو به بين اقرانك فهو نعم الاليف وحبذا الخليل وارتقوا به الى اعلى الدرجات وازدادوا به تقى وهدى .

(30) مساجد القاهرة ومدارسها احمد فكري /الاسكندرية 1961 ص36 .

المبحث الثالث

أهم الدروس والعبر

على المسلم وهو يقرأ كتب السيرة النبوية واية كتب اخرى في أي منهج ان يخرج بشئ من الدروس والعبر من خلال ما قرأه وحينما تصفحنا هذه السيرة وجدنا ان دار الارقم بن الارقم والمسجد النبوي كانا مكانين عظيمين في تغيير منهج الامة ورسم معالم الطريق السليم اذ تخللها الكثير من العظات والعبر ومن خلال المشاهد التي تناولها رسول الله ﷺ في العهدين المكي والمدني وبما مرت بهما من مراحل بخصائصها ومميزاتها لكل مرحلة فلا بد لنا ان نقف مع انفسنا وقفة المتأملين فيها اهم العبر والعظات وكان من اهمها :

1. اصلاح الامر الداخلي صاحب الدعوة فلا بد لصاحب الدعوة او حامل الرسالة ان يقدم على امر قبل تبليغه الرسالة وهذا يشمل المعلم في وقتنا الحاضر او الاستاذ الجامعي فهما بمثابة الرسول ونعني بالاصلاح الداخلي ان يصلح حاله مع ربه ﷻ .

2. الصدق والقناعة بالمنهج وهو امر في غاية الاهمية وهذا ما رأيناه من خلال فعل النبي ﷺ مع المدعوين في العهد المكي وتبعه اصحابه () عندما دخلوا لهذا الدين كيف ان قناعتهم بالمنهج الجديد وصدقهم دفعهم الى التمسك به اكثر .

3. اختيار الوقت المناسب لدعوته وتبليغ رسالته وهذا ما فعله رسول الله ﷺ في دعوته السرية والعلنية في العهد المكي .

4. التركيز على الامور الاساسية في بداية دعوته وتعليمه اذ كان النبي ﷺ يركز على مسائل التوحيد والعقيدة لاسباب معلومة وهي مرحلة انتقال من كفر الى ايمان .

5. الاهتمام بوسائل المحبة فيما بينه وبين المدعويين والحفاظ عليها وتعزيزها وتقويتها .

6. ان يختار مكانا مناسباً لطرح فكره او دعوته .

7. ان يختار الاكفأ ممن حوله لتبليغ وايصال رسالته وتوزيع المهام لمن حوله كل حسب حاله .

8. تحويل مفردات المنهج من افكار ومعتقدات نظرية الى عمل ملموس اثناء دعوته ليتأثر به الآخرون .

9. لا يستهين بالمدعو صغيرا كان أو كبيرا رجلا كان أو امرأة فلا يعلم الخير فيمن يكون منهم

فلسفة المكان في القرآن الكريم

قراءة جمالية

ألدكتور جبار عبد الوهاب سعود

المقدمة

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ وَنَسْتَعِينُهُ مَنْ يَهْدِهِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ ، وَمَنْ يُضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ ، وَأَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ .

أَحْمَدُ اللَّهَ عَلَى آيَاتِهِ ، وَأَشْكُرُهُ عَلَى تَوَاتُرِ نِعَمَائِهِ ، وَأُصَلِّي وَأُسَلِّمُ عَلَى خَاتَمِ أَنْبِيَائِهِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ خَيْرِ أَصْفِيَاءِهِ ، وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَأَخِصَائِهِ .

أَمَّا بَعْدُ :

فإنَّ مجالات البحث في القرآن الكريم قد نمت وتوسعت في العقود الزمنية الأخيرة ، وهي آخذة بالتطور الكمي والنوعي مع تطور المكتشفات العلمية ، وتطور الرؤى الفلسفية والأدبية والنقدية واللغوية وما شابهها ، إذ تأثرت البحوث القرآنية بهذه التطورات التي فتحت أبواباً معرفية جديدة تستلهم النظريات الحديثة في الكشف عن إعجاز القرآن الكريم ، ومناحي إبداعاته المختلفة .

ومن الدراسات النقدية الحديثة الكشف عن العلاقة بين الحدث وبين المكان ، ووجد أن هناك ثمة علاقة مهمة بين الفهم السليم للنص وبين المكان ، وكل ملامسة للمكان إنما هي ملامسة لشبكة العلاقات التي تربط الأشخاص بالمجال المعيشي ارتباط وجود، وانتماء، وهوية، فالمسألة المكانية لا تقف عند حدود التأطير وحسب، وإنما تتعداها إلى مجالات أوسع، تضطلع بها الدراسات الإنسانية في مختلف اهتماماتها وحقولها. وهذا البحث خطوة على هذا الطريق حاولت فيه الكشف عن جمالية

فلسفة المكان في القرآن الكريم ، لكون المكان هو المجال الذي تجري فيه الأحداث ، ولا بدّ للحدث من إطار يشملها، ويحدد أبعاده، ولا بد للحدث أن يأخذ حجمه الحقيقي استناداً لسعة المجال أو ضيقه، كما أن المكان يعود على الحدث من جهة ثانية بالقيمة الاجتماعية التي ترتبط به، ويحمله من الشحنات العاطفية التي تصاحبه .

وبالنظر لارتباط عدد كبير من الآيات القرآنية بالمكان بش كل أو بآخر ، كان لزاماً على الرؤية التفسيرية أن تلتفت إلى قيمة المكان فيه ، بعيداً عن حصر المكان في المظاهر الثانوية، بل التنقيب في عمق العلاقات التي ينشئها المكان بينه وبين مختلف المعاني، والعادات القولية، والفعلية، والأخلاق، والسلوك.

ومن هذا المنطلق سعيت في بحثي هذا إلى تقديم نموذج للتفسير المكاني، معتمداً على المكان في المقام الأول، ومراعاة المعاني التي يثيرها المكان في صميم السياق القرآني كله ، والقراءة على هذا النحو قراءة إشعاعية .

وأسميت هذا البحث (فلسفة المكان في القرآن الكريم . قراءة جمالية) سلكت فيه منهجاً تحليلياً قائماً على استنباط المؤشرات الدالة على التوافق بين المضامين الدلالية والإيحائية في الكشف عن هذا الترابط بالاستناد إلى المفهوم اللغوي والقرآني للآيات التي استشهدت بها في بحثي الذي اشتمل على مقدمة ، ومبحث تمهيدي وثلاثة مباحث :

عرضت في المبحث التمهيدي جذور دراسة المكان في النظريات النقدية الحديثة .

تناولت في المبحث الأول التحرر من المكان .

وتناولت في المبحث الثاني الحبس وضيق المكان .

وتناولت في المبحث الثالث الزخرفة المكانية ، وختمت بحثي بخاتمة

أوجزت فيها أهم النتائج والتوصيات ، سائلاً المولى تبارك وتعالى أن يوفقنا جميعاً للخيرات ، ويستعملنا للطاعات ، إنه سميع مجيب الدعوات ، وأفضل الصلوات ، وأتم التبريكات ، على سيد السادات ، مُحَمَّدٍ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً .

البحث التمهيدي

جذور دراسة المكان

في النظريات النقدية الحديثة

ظهرت العناية بالمكان في الدراسات الأدبية التي نظرت إلى الظاهرة الاجتماعية بوصفها شيئاً ذا أبعاد مكانية وزمانية لا تختلف عن الظواهر العلمية الأخرى منذ (أوجست كونت) (1857/1798) الذي سعى إلى دراسة الواقع بحيثياته المادية، المحصورة في الزمان والمكان⁽³⁰⁾ .

وتجلت هذه العناية بالمكان إلى القول بأن " إضفاء صفات مكانية على الأفكار المجردة، يساعد على تجسيدها. وتستخدم التعبيرات المكانية بالتبادل مع المجرد مما يقربه إلى الأفهام. وينطبق هذا التجسيد المكاني على العديد من المنظومات الاجتماعية، والدينية، والسياسية، والأخلاقية ، والزمنية. بل إن هذا التبادل بين الصور الذهنية والمكانية امتد إلى اتصاف معان أخلاقية بالإحداثيات المكانية النابعة من حضارة المجتمع وثقافته، فلا يستوي أهل اليمن وأهل الشمال، كما يتدرج السلم الاجتماعي من فوق إلى تحت⁽³¹⁾ .

ومن المعلوم أن القرآن الكريم استعمل هذا النوع المكاني، مثل

(30) ينظر : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج. بنروبي. ترجمة : عبد الرحمن

بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط2، 1980م : 12/1 .

(31) جماليات المكان ، سيزا أحمد قاسم ، منشورات عيون المقالات، المغرب، بلا تاريخ:6.

أصحاب اليمين وأصحاب الشمال للدلالة على أهل الجنة، وأهل النار، كما استعمل غيره من النعوت المكانية لتجسيد صور الإيمان والكفر .

والأسلوب الأنسب لقراءة المكان قراءة جمالية ، هو القراءة الإشعاعية ، أي : أنها قراءة تتخذ المكان مركزاً لمجموعة من الدوائر التي تتداح متباعدة عن المركز، فعل الحجر الذي يلقي به في الماء الساكن، فتنشأ عنه مجموعة من الدوائر التي تزداد اتساعاً كلما ابتعدت عن المركز، والقراءة الإشعاعية تنطلق من المكان وتعود إليه، كلما استنفدت شعاعاً من أشعتها. وكل شعاع إنما يمثل وجهة تسلكها القراءة لملامسة تخوم خاصة بها ومن حسنات القراءة الإشعاعية، أنها قراءة لا تستكف الاستفادة من المعارف المختلفة، بل تجعل همها الأول في تلقيح رؤيتها بما تقدمه هذه المعارف، حتى وإن بدت للرأي أنها واهية الصلة بالمكان، أو أن اهتمامها به، يقع في مجال غير المجال المعني ، والملفت حقاً في هذه الاستفادة، أنها كلما أوغلت في الحقول المعرفية البعيدة عن النص ، كلما عادت بعوائد تدخل على النص روحاً جديداً، كما أنها تعطي دراسة النص صفة الشمول ؛ لأنها من ضرورات الفهم⁽³²⁾ .

إن دارس الأدب قارئ في المقام الأول ! والقراءة تحتّم عليه إقامة الفهم، وضبط نتائجه. والفهم يشترط في صاحبه السعة والشمول المعرفي. وقد تقاس القراءة الحقّة بهذه السعة، لا فيما تحشد من معلومات في حصادها، بل فيما تتخير منها لتدعيم فهمها للنص. فقد يتطلب النص في هذه النقطة من الكم معرفي، ما لا يتطلبه في نقطة أخرى. وهذا التوزيع في مقادير المعرفة، هو الذي يعطي للقراءة فاعليتها، ويؤكد للقارئ عبقريته. إذ ليس العبرة في الحشد و الجمع، بل العبرة في التوزيع الذكي الذي يخدم المعنى، ويحقق للنص عطائته المفيدة.

(32) ينظر : مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة : 210.

إن ممارسة القراءة الإشعاعية تدرج القارئ في العملية الإبداعية إدراجاً مزدوجاً: إدراج في صلب النص، فيكون القارئ جزءاً من النص ذاته، وإدراج خارجي تكون فيه الذات القارئة هي غياب النص، والمقصود من الغياب في هذا الموطن، العمق غير المرئي من مجال النص، الذي تشكله حزم الدوائر السابقة، فكل حزمة منها تشكل عمقاً، أو كثافة نصية، لها من التوتر الإبداعي، ومن الشحنة العاطفية، ومن القصديّة المعنوية، ومن السمة الأسلوبية، ومن الصياغة اللغوية ما يحددها أثراً جزئياً في التركيب الكلي للنص الإبداعي عامة، فإذا استطعنا تحديد الحزم النصية، وألحقنا بكل واحدة منها ما يناسبها من عناصر الإبداع ومقوماته، استطعنا تأكيد وحدة الأثر الإبداعي جملة واحدة⁽³³⁾.

وسأعرض في هذا البحث قراءات جمالية لبعض الآيات القرآنية بما ينسجم وحجم هذا البحث عسى أن يكون مدخلاً لدراسات جديدة موسعة في هذا المجال .

المبحث الأول

التحرر من المكان

يفرض ذكر مكان ما مشاعر شتى في النفس البشرية، تتباين آثارها بتباين طبيعة المكان نفسه، فشتان ما بين ذكر الحدائق والجنان وما بين ذكر القبور والنار .

(33) بناء الرواية، سيزا أحمد قاسم، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، بلا تاريخ: 74.

إن الرحلة والحركة، تتفیان المكان ، ولا يكون النفي إغاءً للمكان ،
ومسحاً له، وإنما النفي هو في سلب المكان خصوصية الثبوت؛ فالمكان
الثابت تتباطأ فيه حركة الزمن، وتتكرر فيها دوراته بانتظام روتيني ، وإذا
سلبنا من المكان خاصية الثبوت، أو قللنا تأثيرها بفعل الحركة، فقد قللنا من
سلطان المكان، ومنحنا التحول فرصة تجديد عناصر الشخصية، بما يطرأ
عليها من تجدد، تكتسبه من الأمكنة الأخرى .

لذلك كانت الرحلة عند العربي القديم عنوان الانعتاق والتحرر، يحن إليها
كل حين، وكأنها جزء أساسي من تركيبته الشخصية، يألفها كل الإلف على
الرغم من صعوبتها ، وقد عبر القرآن الكريم عن هذا التحرر في قوله تعالى
: ﴿ لِإِيلَافِ قُرَيْشٍ (1) إِيْلَافِهِمْ رِحْلَةَ الشِّتَاءِ وَالصَّيْفِ ﴾ (34) ،

في رحلة الصيف والشتاء إشارة إلى ديمومة الحياة المعبر عنها بالنشاط
التجاري الذي يمدّ قريش بعوامل القوة والتميز ، ولهذا أوجب الله تعالى عليهم
شكره على هذه النعمة الجليلة بقوله : ﴿ فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا
الْبَيْتِ (3) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَأَمَّنَّهُمْ مِنْ خَوْفٍ ﴾ (35) .

فهذه الرحلة تمنح زخماً للحياة، وتكفل له المعاش، والاستقرار، والأمن ،
لذا أمر الله تعالى قريش أن يألفوا عبادة رب هذا البيت ، كما ألفوا رحلة
الشتاء إلى اليمن يلتمسون الدفء والتجارة، ورحلة الصيف إلى الشام
يلتمسون البرد بعد أن طلبوا التجارة (36) .

(34) سورة قريش : الآيتان 1 . 2 .

(35) سورة قريش : الآيتان 3 . 4 .

(36) ينظر : جامع البيان عن تأويل آي القرآن المعروف ب(تفسير الطبري) ، لأبي جعفر
مُحَمَّد بن جرير بن يزيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملّي الطبري ، (ت 310 هـ) ،
تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، مصر ، ط 1 ،
1420 هـ . 2000 م : 307/30 ، والدّر المنثور ، لعبدالرحمن بن الكمال جلال الدين

والرحلة ، أي : الانتقال من مكان إلى مكان تناقض " الانغلاق في مكان واحد، دون التمكن من الحركة، فإن هذه الحالة تعبر عن العجز، وعدم القدرة على الفعل، أو التفاعل مع العالم الخارجي، أي : مع الآخرين " (37) .

قال القرطبي : " لقد أمرهم الله تعالى بعبادته وتوحيده لأجل إيلافهم رحلتين ، ودخلت الفاء لأجل ما في الكلام من معنى الشرط ؛ لأن المعنى إما لا فليعبده لإيلافهم على معنى : ان نعم الله تعالى عليهم لا تحصى ، فإن لم يعبدوه لسائر نعمه ، فليعبده لشأن هذه الواحدة التي هي نعمة ظاهرة " (38) .

إن هذا الاعتقاد من المكان يكاد يكون منهجاً قرآنياً عاماً لتذليل كثير من الصعوبات التي تواجه الإنسان أو الأفراد ، ويبرز التحرر من ربة المكان مع تقلص الخيارات المتاحة ، وفي ضوء هذه الحقيقة التي تعززها آيات أخرى ، يظهر رجحان هذا التأويل في مقابل ما نقل عن عكرمة : " كانت قريش قد ألفوا رحلة إلى بصرى ، ورحلة إلى اليمن ، ف قيل لهم : فليعبدوا رب هذا البيت ، أي : يقيموا بمكة " (39) .

وليس الأمر قاصراً على قريش في رحلتهم هذه ، بل يبرز التحرر من المكان لعلاج العوز والعسر المادي ، من ذلك أمره تعالى بالضرب في

عبدالرحمن بن أبي بكر السُّيُوطي ، (ت 911 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوت ، 1993م : 653/8 .

(37) بناء الرواية : 770 .

(38) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبدالله شمس الدين مُحَمَّد بن أَحْمَد بن أَبِي بَكْر بن فَرْح الأنصاري الحَزْرَجِي القُرْطُبِي ، (ت 671 هـ) ، تحقيق : أَحْمَد عَبْد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط 2 ، 1372 هـ : 209/20 .

(39) جامع البيان : 307/30 ، والجامع لأحكام القرآن : 209/20 .

مناكب الأرض في قوله تعالى : ﴿ هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِنْ رِزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ ﴾ (40) .

أن هذه الآية الشريفة دالة على قيمة التحرر من المكان وأهميته ، وذلك من الله تعالى على عباده في مستهل الآية بتذليل الأرض ، أي : جعلها غير صعبة يسهل جداً السلوك فيها (41) ، ويرشد لهذا صيغة فعول الدالة على المبالغة في التذليل (42) ، قال ابن عطية : " الذلول فعول بمعنى مفعول ، أي : مذلولة كركوب وحلوب " (43) .

ولا يقف تأكيد الأمر عند هذا الحد ، بل يؤيده أيضاً تقديم (لكم) على مفعولي الجعل مع أن حقه التأخر عنهما للاهتمام بما قدم ، والتشويق إلى ما أُخِّرَ ، فإن ما حقه التقديم إذا أُخِّرَ لاسيما عند كون المقدم مما يدل على كون المؤخر من منافع المخاطبين تبقى النفس مترقبة لوروده فيتمكن لديها عند ذكره فضل تمكن (44) .

(40) سورة الملك : الآية 15 .

(41) ينظر : إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم . لأبي السعود مُحَمَّد بن مُحَمَّد العمادي ، (ت 982هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ : 7 / 9 .
(42) ينظر : البحر المحيط ، لأبي عبدالله أنير الدين مُحَمَّد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان الأندلسي الشهير بابن حيان وبأبي حيان ، (ت 754هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1329هـ : 8 / 230 ، والدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون ، لأبي العباس شهاب الدين بن يوسف بن السمين الحلبي ، (ت 756هـ) ، تحقيق : الشيخ علي بن معوض ، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، وجاد مخلوف جاد ، وزكريا عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1414هـ . 1993م : 6 / 345 .

(43) المُحَرَّرُ الوَجِيزُ فِي تَفْسِيرِ الكِتَابِ العَرَبِيِّ ، المعروف بـ (تَفْسِيرِ ابن عطية) ، لأبي مُحَمَّد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، (ت 541هـ) ، تحقيق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، مؤسسة دار العلوم ، الدوحة ، ط1 ، 1404هـ . 1984م : 13/15 .

(44) ينظر : إرشاد العقل السليم : 7 / 9 .

وكذلك مجيء الفاء في قوله تعالى : ﴿ فَاْمَشُوا فِي مَنَاكِبِهَا ﴾ لترتيب الأمر على الجعل المذكور ، على الراجح (45) ، كلّ هذا يدل على أهمية التنقل لكسب الرزق ، وضرب المناكب قرينة المكنية في الأرض (46) .

والمراد أنه ليس هنا أمر بالمشي حقيقة ، وإنما القصد به إلى جعله مثلاً لفرط التذليل سواء كانت المناكب مفسرة بالجبال ، أو طرقها وفجاجها (47) .

ثم يتجلى الغرض الحقيقي من هذا الضرب في الأرض ، من أجل الانتفاع بما أنعم جل شأنه ، وكثيراً ما يعبر عن وجوه الانتفاع بالأكل ، لأنه الأهم الأعز ، فالأكل مجاز عن الالتماس من قبيل ذكر الملزوم وإرادة اللزوم (48) .

وقد تأتي الدعوة إلى التحرر من المكان لباعث آخر غير الكسب والرزق ، مثل مراجعة النفس ، والإمهال للتفكير في عواقب الأمور ، من ذلك الأمر بالسياحة في قوله تعالى : ﴿ فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ مُّ

(45) ينظر : إرشاد العقل السليم : 7 / 9 ، وروح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع

المثاني ، لأبي الثناء شهاب الدين السيد محمود بن عبدالله الألويسي البغدادي ، (1270هـ) ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت ، بلا تاريخ : 14/29 .

(46) ينظر : عناية القاضي وكفاية الرازي ، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، (ت 1069هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1283هـ : 8 / 222 .

(47) ينظر : الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت 538هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان ، الرياض ، ط 1 ، 1418هـ . 1998م : 4 / 580 .

(48) ينظر : أنوار التنزيل وأسرار التأويل المعروف ب(تفسير البيضاوي) ، لأبي سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي ، (ت 685هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ . 1996م : 8 / 223 .

على النظر والاعتبار ، وذكر المسير لتوقفه عليه (56) .

وقد روي في فضل الأسفار للاعتبار قول مالك بن دينار : " أوحى الله تعالى إلى موسى . عليه السلام . أن اتخذ نعلين من حديد وعصا ، ثم سحّ في الأرض ، فاطلب الآثار والعبر حتى تحفى النعلان وتتكسر العصا " (57) .

ولا يتوقف السفر والترحال على البر ، فقد جاء المنّ على الناس بركوب البحر ، كما في قوله تعالى : ﴿ وَالْفُلْكَ الَّتِي تَجْرِي فِي الْبَحْرِ بِمَا يَنْفَعُ النَّاسَ ﴾ (58) ، فجرّيان السفن في البحر يحقق منافع كثيرة للإنسان منها تعبدية مثل الحج والعمرة والجهاد والدعوة إلى الإسلام ، ومنها دنيوية بها تقوم حياة الناس مثل التجارة ، ونقل المتاع ، والحصول على ثروات البحر التي خلقها الله للإنسان كما في قوله تعالى : ﴿ أَجَلٌ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرْمٌ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرْمًا وَانقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴾ (59) ، أي : ينتفع بهذا الطعام المقيم والمسافر (60) ،

(56) ينظر : حاشية الشهاب : 6 / 303 .

(57) تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمَسْمُوعِ بِ(تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ) ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كَثِيرِ الْفَرَشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، (ت 774 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوتُ ، 1401 هـ : 438/5 ، و الدَّرُّ الْمَنْتُورُ ، لعبدالرحمن بن الكمال جلال الدين عبدالرحمن بن أبي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ ، (ت 911 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوتُ ، 1993 م : 365/4 .

(58) سورة البقرة : من الآية 164 .

(59) سورة المائدة : من الآية 96 .

(60) ينظر : المحرر الوجيز : 241/2 ، واللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ، لأبي حفص عُمر بن علي بن عادل الدمشقي الحنبلي ، (ت 880 هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أَحْمَدُ عَبْدُ الموجد ، وعلي مُحَمَّدٌ معوض ، شارك في تحقيقه : د . مُحَمَّدٌ سعد رمضان حسن ، ود . مُحَمَّدٌ المتولي الدُّسُوقِيُّ الحرب ، منشورات مُحَمَّدٌ علي ، دار الكتب العلمية ، بَيْرُوتُ ،

ط1 ، 1419 هـ . 1998 م : 532/7

وفي قوله (وللسيارة) إشارة أخرى إلى السفر والترحال⁽⁶¹⁾ .

ومسك الختام في هذا هو الأمر الإلهي بالهجرة من مكة المكرمة إلى المدينة المنورة ، إذ كان الرحيل عن المكان هو الحل الوحيد لمشكلات المسلمين في مكة ، ﴿ فَلَا تَتَّخِذُوا مِنْهُمْ أَوْلِيَاءَ حَتَّىٰ يُهَاجِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ ﴾⁽⁶²⁾ ، إذ جعل الخروج من ديار الكفر والانتقال عنها ومفارقة أهلها إلى دار الإسلام وأهلها ، هو الفيصل في التفرقة في الموالاة⁽⁶³⁾ .

المبحث الثاني

الحبس وضيق المكان

ربط القرآن الكريم بين الحبس والمكان مادام المكان " هو الإطار الذي تقع فيه الأحداث" ⁽⁶⁴⁾ ، والتعرف عليه يرسم مسار الحدث في إطار محدد، ويكسبها الوجود الفعلي في الزمان والحيز.

والحبس في القرآن الكريم لا يخرج عن مدلوله المعتاد بوصفه ضرباً من ضروب التعذيب أو التأديب ، فهو الإقامة الجبرية الدائمة التي تتعارض مع حرية الحركة والتنقل ، وتغيب عن الإنسان منافعهما ، فورد ذكره في القرآن

(61) ينظر : تفسير القرآن العظيم مسنداً عن رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ . وَالصَّحَابَةَ وَالتَّابِعِينَ ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن مُحَمَّد بن إدريس الرازي بن أَبِي حاتم . (ت 327 هـ) ، تحقيق : أسعد مُحَمَّد الطيب ، المكتبة العصرية ، صيدا ، ط 1 ، بلا تاريخ : 35/3 ، والدر المنثور : 199/3 .

(62) سورة النساء : من الآية 89 .

(63) ينظر : جامع البيان : 14/8 .

(64) بناء الرواية : 76 .

الكريم مصحوباً بالتهديد والوعيد ، كما في قول فرعون لموسى . عَلَيْهِ السَّلَام .
: ﴿ قَالَ لئن اتَّخَذتِ إِلَهًا غَيْرِي لأَجْعَلَنَّكَ مِنَ الْمَسْجُونِينَ ﴾ (65) .

ففرعون هنا بالغ في الإبعاد على تقدير وقوع ذلك ، حيث أكد الفعل بما أكد ، وعدل عن لأسجننك إلى المسجونين للعهد ، فكأنه قال : لأجعلنك ممن عرفت أحوالهم في سجوني (66) ، وهذا ضرب من ضروب التهديد قائم على خبرة السامع بأحوال المتكلم وأفعاله .

ولجأت امرأة عزيز مصر هي الأخرى إلى تهديد يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام .
بالسجن في محاولة يائسة منها لتبرئة نفسها ، ﴿ قَالَتْ مَا جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ سُوءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (67) ، ويكفي للتعرف على حقيقة هذا السجن بمعرفة قرينه ، العذاب الأليم ، ولم تقل : إلا السجن أو عذاب ؛ لأن لفظ السجن يطلق على البيت الذي يوضع فيه المسجون ويطلق على مصدر سجن ، فقله : (أن يسجن) أوضح في تسلط معنى الفعل عليه (68) .

وأكدت هذا المعنى في قولها : ﴿ وَلئن لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُهُ لَيُسْجَنَنَّ وَلَيَكُونَنَّ مِنَ الصَّاغِرِينَ ﴾ (69) ، أي : إلا أن يحبس ، أو أن يكون من الأذلاء (70) .

فهي قد انطلقت من بيئتها ومحيطها وطبقتها المترفة ، التي لا تستسيغ سماع اسم السجن بله الحلول فيه ، ولم تتصور أن سلب حرية المكان يمكن

(65) سورة الشعراء : الآية 29 .

(66) ينظر : إرشاد العقل السليم : 240/6 ، وروح المعاني : 73/19 .

(67) سورة يوسف : من الآية 25 .

(68) ينظر : التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ، لِمُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورَ ، (ت 1393 هـ) ، الدار التونسية للنشر ، 1984م : 257/12 .

(69) سورة يوسف : من الآية 32 .

(70) ينظر : أنوار التنزيل : 286/3 .

أن يساوم عليه ، ولكن فاجأها موقف إيماني يستسهل السجن والعذاب ، فقال يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام . : ﴿ قَالَ رَبِّ السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ مِمَّا يَدْعُونَنِي إِلَيْهِ وَإِلَّا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْنُبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ ﴾ (71) ، ولم تذكر القصة معاناة يوسف . عَلَيْهِ السَّلَام . في السجن ، " على عادة القرآن في الاختصار في سوق القصص اكتفاء بالمقصود من مغزى القصة لئلا يصير القصص مقصداً أصلياً للتزليل " (72) ؛ ولكن هذه المعاناة تعرف من المدة الطويلة التي مكثها من غير ذنب ﴿ فَلَبِثَ فِي السَّجْنِ بِضْعَ سِنِينَ ﴾ (73) ، لذلك شكر الله تعالى على نعمته بإخراجه من السجن بقوله : ﴿ وَقَدْ أَحْسَنَ بِي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السَّجْنِ ﴾ (74) .

ويحذر القرآن الكريم الكفار من سوء العاقبة ، وينذرهم بعقاب أخروي شديد ، من ذلك السجن ، قال تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْفُجَّارِ لَفِي سِجِّينٍ ﴾ (7) وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ﴿ (75) ، والسجين على الراجح من الأقوال هي الأرض السابعة السفلى وفيها كتاب الفجار ، وذلك لأن سجين على وزن فعيل من السجن ، وهو الضيق ، كما قيل رجل سكير من السكر ، وهي مصير الفجار كما في قوله تعالى ﴿ ثُمَّ رَدَدْنَاهُ أَسْفَلَ سَافِلِينَ ﴾ (76) .

لقد أدى ذكر مكان السجن في القرآن الكريم ثلاثة وظائف : وظيفة الإخبار، ووظيفة التصوير ، ووظيفة التحذير .

-
- (71) سورة يوسف : الآية 33 .
 (72) التحرير والتنوير : 59/8 .
 (73) سورة يوسف : من الآية 42 .
 (74) سورة يوسف : من الآية 100 .
 (75) سورة المطففين : الآيتان 7 . 8 .
 (76) سورة التين : الآية 5 . وبه قال البراء بن عازب، وابن عباس . رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ . ، وكعب، ومجاهد، والضحاك، وابن زيد، وهو اختيار كل من الطبري وابن كثير . ينظر : جامع البيان : 61/30 وتفسير القرآن العظيم : 485/4 .

ومن المعلوم أن للنمط السردي يشتمل على " مستوى ظاهري، أو صريح النص، والمستوى الثاني، الذي هو قاسم باطني وبنوي مشترك" (77) .

فإذا وزعنا وحدات السرد على المستويين، خرجنا بنصين متداخلين/ منفصلين، صريح النص الذي يعرض مكاناً منعزلاً تقيد فيه حركة الإنسان وتمنعه من الترحال ، ونص باطني يعرض المكان بوصفه سبباً للعذاب الجسدي والنفسي ، وتراكب النصين في نسق واحد، تتجاوز مظهرية المكان إلى مخبريته، وتراكب النصين سيولد التناقض الحاصل بينهما نصاً ثالثاً، هو نتاج التمازج الكلي بين عناصر التكوين السردية: من إخبار، وتصوير وظيفية ، وتحذير ، إلى صريح وباطني شكلاً وبنيةً.

المبحث الثالث

الزخرفة المكانية

من أبرز ملامح جمالية النص ما يعرف بالنظرية الأدبية الحديثة بالتشخيص ، وهو في أبسط تعريف له يتمثل " في خلع الحياة على المواد الجامدة، والظواهر الطبيعية، والانفعالات الوجدانية، هذه الحياة التي قد ترتقي فتصبح حياة إنسانية.. تهبّ لهذه الأشياء عواطف آدمية، وخلجات إنسانية" (78) .

ويمكن من هذا أن نفهم أن التشخيص هو حركة تحويلية تتسامى بنقل الجامد إلى الحي ، أو منح الصور الجامدة مشاعر حسية جياشة ، فهي أشبه بالصور المتحركة منها إلى الصور الجامدة ، وإن اقترنت الصورة بالاستعارة تشكلت عناصر منظورة ومحسوسة في إطار محدد، على وفق

(77) مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بلا تاريخ 113 .

(78) النقد الأدبي ، سيد قطب ، (1387هـ) ، دار الشروق ، بيروت، بلا تاريخ : 61 .

رؤية معينة تتجاوز الأسلية إلى فضاء المعنى.

إن الصورة وهي تقوم على التشكيل، تخضع أولاً لهندسة مبيتة خدمة لمقصد بعيد، فهي من هذه الناحية "عمل واع بهدفه" (79).

ومن شأن الوعي في الحركة التصويرية أن يضيق من منافذ الخيال أولاً، حتى يسمح للصورة بترتيب عناصرها ترتيباً واعياً بالأولويات والأسبقيات، ثم يفتح منافذ الخيال ليصبغ الصورة بصبغتها الخاصة.

ومن هذا التصور يمكن قراءة كثير من النصوص القرآنية التي تحيل

المكان المجرد إلى لوحة مزخرفة تعج بالحياة، حتى يتراءى للقارئ أن بإمكانه تحسسها، يقول تعالى: ﴿ وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ نَبَاتَ كُلِّ شَيْءٍ فَأَخْرَجْنَا مِنْهُ خَضِرًا نُخْرِجُ مِنْهُ حَبًّا مُتَرَاكِبًا وَمِنَ النَّخْلِ مِن طَلْعِهَا قِنْوَانٌ دَانِيَةٌ وَجَنَّاتٍ مِنْ أَعْنَابٍ وَالزَّيْتُونَ وَالرُّمَّانَ مُشْتَبِهًا وَغَيْرَ مُتَشَابِهٍ انظُرُوا إِلَى ثَمَرِهِ إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾ (80).

فهذا النص لا يكتفي بصورة واحدة، ولا بحركة واحدة، بل تتداخل فيه

الصور المتحركة المتنقلة عبر فضاء اللوحة المرسومة بشفافية ودقة،

وتحيل المكان المفترض إلى جنة غناء، قد تدفع بالخيال إلى تصور ميلان

السنابل مع النسيم، وزقزقة العصافير على النخيل، وفي هذه اللوحة

القرآنية الأخاذة انتقالات مكانية متنوعة، فمن نزول المطر من السماء،

إلى تمكنه في الأرض ليسقي النباتات التي تشق طريقها إلى الأعلى، ثم

تصف التحولات التي تطرأ على هذه النبتة، ابتداءً ببزوغ السنبل التي تحوي

الحب المتراكب؛ "الملتصق بعضه على بعض في السنبل، مثل القمح

وغيره، والتفاعل للمبالغة في ركوب بعضه بعضاً، والمقصود

(79) ينظر: النقد الفني، جبروم ستولنيتز. ترجمة: فؤاد زكريا، الهيئة المصرية العامة

للكتاب، مصر، 1981م: 131.

(80) سورة الأنعام: الآية 99.

بالإخبار هنا التّعجب من خروج القنوان من الطلع ، وما فيه من بهجة ، وبهذا يظهر وجه تغيير أسلوب هذه الجملة عن أساليب ما قبلها وما بعدها ، إذ لم تعطف أجزؤها عطف المفردات ، على أنّ موقع الجملة بين أخواتها يفيد ما أفادته أخواتها من العبرة والمثّة " (81)

وقوله : (دَانِيَّةٌ) ، أي: قريبة من المتناول، وفي هذا الاختزال المكاني
) حكمة ، إذ في ذكر القريبة وترك ذكر البعيدة ؛ أن النعمة فيها أظهر وأدلّ
(82) .

ثم تنقلنا اللوحة من حالة النخلة المنفردة إلى مكان آخر أكثر حميمية ، إلى جنات من شتى أنواع الفاكهة تضم الأعناب ، والزيتون والرمان ، و هذه الأصناف بعضها مشتبه ، يشبه بعضه بعضاً ، ويتقارب في بعض أوصافه ، وبعضها لا مشابهة بينه وبين غيره، والكل ينتفع به العباد، ويتفكّهون ، ويقتاتون، ويعتبرون، ولهذا أمر تعالى بالاعتبار به، فقال: (انظُرُوا) نظر فكر واعتبار (إِلَى ثَمَرِهِ) ، أي: الأشجار كلها، خصوصاً النخل (إِذَا أَثْمَرَ وَيَنْعِهِ) ، أي: انظروا إليه، وقت إطلاعه، ووقت نضجه وإيناعه، فإن في ذلك عبراً وآيات (83) .

ففي هذه اللوحة الرائعة جملة انتقالات مكانية مهمة ، كان السيلان المعبر عنه بنزول المطر علامة على حيويتها ، والتلوين الذي أكسب المكان بريقه ، وهي حركة فيها كثير من القوة الدلالية التي تلاحقها العين، فالأخضرار يغمر المكان يعمّه من كل ناحية ، ترتاح له العين ، وتشعر معه بالألفة ، ولكي لا يتخلل الملل إلى النفوس من ثبات الصورة أو المكان

(81) التحرير والتنوير : 400/7 .

(82) ينظر : الكشاف : 8/2 .

(83) ينظر : تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ،

(ت 1376 هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، 1425 هـ . 2004 م :

، تتخلل اللوحة نفسها ألوان زاهية مختلفة تبدد الرتابة عن المكان .
 وبعد كل هذا نواجه بواقعية الاعتبار ، فالاعتبار والأفكار الخلاقة
 والمبدعة تزدهر في الأجواء الهادئة التي تسكن إليها النفوس وترتاح ،
 ولاسيما وأن الخطاب القرآني كان موجهاً بادئ بدء لعرب الجزيرة التي تندر
 فيها مثل هذه اللوحات المزخرفة لغلبة الصحارى .

الخاتمة

بعد هذا العرض الموجز الذي حاولت منه قراءة بعض النصوص القرآنية
 المتعلقة بالمكان في ضوء الدراسات النقدية الأدبية الحديثة ، آملاً من ذلك
 إيجاد مدخل جديد لهذه القراءات بما يغني النص من جهة والدرس النقدي
 الأدبي من جهة أخرى .

ومع أن حجم البحث لا يتناسب مع سعة الموضوع ، لذا وقفت على
 بعض الآيات بإيجاز ، لعل هذا البحث يكون باعثاً على دراسات موسعة
 معمقة في هذا المجال .

وإن علمنا أن كثيراً من التصورات التي يحملها الباحثون في أول الأمر قد
 تكون فكرة غامضة، في حاجة إلى إطار يمكنها من التجسد والظهور، إلا
 أن الشروع في العمل ، والممارسة تكسب هذا الإطار واقعية التنفيذ .
 وإن كانت الجهود تصبّ كلها في قناة واحدة، إلا أن نشاط الآحاد من
 الناس بالتفاعل مع الآخرين يبدو وكأنه نشاط جماعي يقوم على اتفاق
 مبدئي لدراسة المبحث الواحد.

لقد أظهرت جولتنا الموجزة مع المكان، المجالات الواسعة التي يمكن لهذا النمط من الدراسات والبحوث تناولها ، إذ يمكن الوقوف على أنماط كثيرة من العلاقات المكانية في القرآن الكريم ، مثل : العلاقة بين المكان واللغة، والعلاقة بين المكان والأسلوب، والعلاقة بين المكان والصورة، والعلاقة بين المكان والذات، والعلاقة بين المكان والشخصية، والعلاقة بين المكان وطبيعة الأحاسيس المنبعثة منه، والعلاقة بين المكان والأخلاق العامة والخاصة، والعلاقة بين المكان والمعمار ، والعلاقة بين المكان والأغراض الفكرية ، وغيرها ، وكل من هذه الموضوعات يصلح للدراسة بشكل موسع .

إن المكان مع اتساعه ، بحاجة إلى مزيد درس وبحث ، لكشف مضامين جديدة للنص القرآني ، بعضها يبدو نفعه في الترجيح بين الأقوال كما مر بنا في تفسير سورة قريش .

ومع أن ي استشهدت ببعض المقولات الغربية استئناساً فقط ؛ لأن المكان العربي يغير المكان الغربي ضرورة، تغاير الطبيعة والمناخ، وأن فهمه لابد وأن ينبع من ذائقة تناسبه .

وصلى الله على سيدنا مُحَمَّد ، وعلى آله وصحبه وسلم

المصادر والمراجع

1. النّجّام لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان ، لأبي عبدالله شمس الدّين محمّد بن أحمد بن أبي بكر بن فرح الأنصاري الخزرّجي القرطبي ، (ت 671 هـ) ، تحقيق : أحمد عبد العليم البردوني ، دار الشعب ، القاهرة ، ط2 ، 1372 هـ .
2. المحرّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز ، المعروف بـ(تفسير ابن عطية) ، لأبي محمّد عبدالحق بن عطية الغرناطي الأندلسي ، (ت 541 هـ) ، تحقيق : عبدالله بن إبراهيم الأنصاري ، والسيد عبد العال السيد إبراهيم ، مؤسسة دار العلوم ، الدوحة ، ط1 ، 1404 هـ . 1984 م .
3. النقد الأدبي ، سيد قطب ، (1387 هـ) ، دار الشروق ، بيروت ، بلا تاريخ .
4. بناء الرواية ، سيزا أحمد قاسم ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مصر ، بلا تاريخ .

5. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ الْمَسْمُومِ بِ(تَفْسِيرِ ابْنِ كَثِيرٍ) ، لأبي الفداء عماد الدين إسماعيل بن عمر كَثِيرِ الْقُرْشِيِّ الدَّمَشْقِيِّ ، (ت 774 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوت ، 1401 هـ
6. الدَّرُّ الْمَنْثُورُ ، لعبد الرحمن بن الكمال جلال الدين عبدالرحمن بن أَبِي بَكْرٍ السُّيُوطِيِّ ، (ت 911 هـ) ، دار الفكر للطباعة والنشر ، بَيْرُوت ، 1993 م .
7. جماليات المكان ، سيزا أحمد قاسم ، منشورات عيون المقالات، المغرب، بلا تاريخ .
8. مدخل إلى نظرية القصة ، سمير المرزوقي وجميل شاكر ، الدار التونسية للنشر ، تونس ، بلا تاريخ .
9. رُوحُ الْمَعَانِي فِي تَفْسِيرِ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ وَالسَّبْعِ الْمَثَانِي ، لأبي النَّوَّاءِ شَهَابِ الدِّينِ السَّيِّدِ مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ الْأَلُوسِيِّ الْبَغْدَادِيِّ ، (1270 هـ) ، دار إحياء التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوت ، بلا تاريخ .
10. إِرْشَادُ الْعَقْلِ السَّلِيمِ إِلَى مَزَايَا الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ . لأبي السَّعُودِ مُحَمَّدَ بْنِ مُحَمَّدِ الْعَمَادِيِّ ، (ت 982 هـ) ، دار إحياء التُّرَاثِ الْعَرَبِيِّ ، بَيْرُوت ، بلا تاريخ .
11. الْبَحْرُ الْمُحِيطُ ، لأبي عبدالله أنير الدين مُحَمَّدَ بْنِ يَوْسُفَ بْنِ عَلِي بْنِ يَوْسُفَ بْنِ حَيَّانِ الْأَنْدَلُسِيِّ الشَّهِيرِ بَابِنِ حَيَّانِ وَبَابِي حَيَّانِ ، (ت 754 هـ) ، مطبعة السعادة ، مصر ، 1329 هـ .
12. الدَّرُّ الْمَصُونُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ الْمَكْنُونِ ، لأبي العباس شهاب الدين ابن يوسف بن السمين الحلبي ، (ت 756 هـ) ، تحقيق : الشيخ علي بن معوض ، والشيخ عادل أحمد عبدالموجود ، وجاد مخلوف جاد ، وزكريا عبدالحميد ، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1414 هـ . 1993 م .

13. التَّحْرِيرُ وَالتَّنْوِيرُ ، لِمُحَمَّدِ الطَّاهِرِ بْنِ عَاشُورٍ ، (ت 1393 هـ) ،
الدار التونسية للنشر ، 1984م .

14. الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه
التأويل ، لأبي القاسم جار الله محمود بن عمرو بن أحمد الزمخشري ، (ت
538 هـ) ، تحقيق : عادل عبد الموجود ، وعلي عوض ، مكتبة العبيكان
، الرياض ، ط1 ، 1418هـ . 1998م .

15. اللُّبَابُ فِي عُلُومِ الْكِتَابِ ، لأبي حفص عُمر بن علي بن عادل
الدمشقي الحنبلي ، (ت 880 هـ) ، تحقيق وتعليق : عادل أحمد عبد
الموجود ، وعلي محمد معوض ، شارك في تحقيقه : د . محمد سعد
رمضان حسن ، ود . محمد المتولي الدسوقي الحرب ، منشورات محمد علي
، دار الكتب العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1419هـ . 1998م .

16. النقد الفني ، جيروم ستولنيتز . ترجمة : فؤاد زكريا ، الهيئة المصرية
العامة للكتاب ، مصر ، 1981م .

17. النَّهَائِيَّةُ فِي غَرِيبِ الْحَدِيثِ وَالْأَثَرِ ، لمجد الدين أبي السعادات محمد
ابن محمد ابن عبد الكريم الشيباني الجزري المعروف بابن الأثير ، (ت
606 هـ) ، تحقيق : زاهر أحمد الزاوي ، ومحمود محمد الطناحي ، المكتبة
العلمية ، بيروت ، ط1 ، 1399هـ . 1979م

18. أَنْوَارُ التَّنْزِيلِ وَأَسْرَارُ التَّأْوِيلِ المعروف بـ(تَفْسِيرِ الْبَيْضَاوِيِّ) ، لأبي
سعيد ناصر الدين عبدالله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي الشافعي ،
(ت 685 هـ) ، دار الفكر ، بيروت ، 1416هـ . 1996م .

19. تَفْسِيرُ الْقُرْآنِ الْعَظِيمِ مسنداً عن رسول الله . صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .
والصَّحَابَةِ وَالتَّابِعِينَ ، للإمام الحافظ عبدالرحمن بن محمد بن إدريس الرازي
بن أبي حاتم . (ت 327 هـ) ، تحقيق : أسعد محمد الطيب ، المكتبة
العصرية ، صيدا ، ط1 ، بلا تاريخ

20. تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان ، لعبد الرحمن بن ناصر السعدي ، (ت 1376 هـ) ، جمعية إحياء التراث الإسلامي ، الكويت ، 1425 هـ . 2004 م .
21. جَامِعُ الْبَيَانِ عَنْ تَأْوِيلِ آيِ الْقُرْآنِ الْمَعْرُوفِ بِـ (تَفْسِيرِ الطَّبْرِيِّ) ، لأبي جعفر مُحَمَّد بن جَرِير بن يَزِيد بن خالد بن كثير بن غالب الأملّي الطَّبْرِيِّ ، (ت 310 هـ) ، تحقيق : محمود مُحَمَّد شاكر وأحمد مُحَمَّد شاكر ، مؤسسة الرسالة ، مصر ، ط1 ، 1420 هـ . 2000 م .
22. الدَّرُّ الْمَنْثُورُ ، لعبدالرحمن بن الكمال جلال الدّين عبدالرحمن بن أبي بَكْرٍ السُّيُوطِي ، (ت 911 هـ) ، دَارُ الْفِكْرِ لِلطَّبَاعَةِ وَالنَّشْرِ ، بَيْرُوتَ ، 1993 م .
23. عناية القاضي وكفاية الراضي ، المعروف بحاشية الشهاب الخفاجي على تفسير البيضاوي ، لشهاب الدين أحمد بن محمد بن عمر الخفاجي ، (ت 1069 هـ) ، مطبعة بولاق ، مصر ، 1283 هـ .
24. مَفَاتِيحُ الْغَيْبِ الْمَعْرُوفِ بِـ (التَّفْسِيرِ الْكَبِيرِ) وَبـ (تَفْسِيرِ رُ الْرَازِي) لأبي عبدالله فَخْرُ الدِّينِ مُحَمَّد بن عُمَر بن حسين القرشي الطبرستاني الأصل الشافعيّ المذهب الرّازي ، (ت 606 هـ) ، المطبعة البهية المصرية ، مصر ، ط3 ، بلا تاريخ .
25. مصادر وتيارات الفلسفة المعاصرة في فرنسا، ج. بنزوي. ترجمة عبد الرحمن بدوي، المؤسسة العربية للدراسات والنشر ، بيروت ، ط 2 ، 1980 م .